الدلالة الانفعالية لأسلوب النُّدبـــة وعلاقته بالنداء

د. عتيـــق صالح علي القماطي ـ مدرسة اللغات - قسم اللغة العربية.
الأكاديمية الليبية (جنزور)

المقدمـــــــــة:

تُعد اللغة العربية من أقدم اللغات التي مازالت تتمتع بخصـــائصـــها المختلفة في المفردات والتراكيب ، مع خاصيتها في التخاطب والتعبير بها عن شتى مدارك العلوم، فهي لغة مرنة تستوعب جميع الألفاظ المشتقة والمترادفة، وتضع لكل مقام مقال لها، فهي مصدر عز الأمة ونهضتها، ووسيلة تعارف بين ملايين البشر في مختلف بقاع الأرض، وأول اللغات الحضـــارية في العالم، كما أنها غنية بقواعدها النحوية، وتعدد أساليبها، وتنوع دلالاتها، وخروجها إلى معان ودلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومن بينها أســـلوب الندبة الذي يرجعه كثير من العلماء إلى أســـلوب النداء ويعدونه جزءا من تفريعاته، وهو أمر يوقع تداخلا ولبسا بين دلالة هذين الأسلوبين؛ لأن دلالة الندبة تختلف كثيرا عن دلالة النداء؛ ما جعل الباحث يفرد لهذه القضـــية دراســـة مستقلة يبين وجه الاختلاف في دلالتهما؛ للوصول للدلالة المناسبة لأسلوب الندبة، فجاء هذ البحث بعنوان: الدلالة الانفعالية لأسلوب الندبة وعلاقته بالنداء.

أسباب اختيار البحث :

1- تحديد أسلوب الندبة وبيان قيمته الدلالية.
2- رفع للبس الواقع بين دلالة أسلوبي النـــداء والندبة.
3- الوقوف على أثر التنغيم في الدلالة الانفعالية لأسلوب الندبة.

منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بتتبع آراء النحاة قديما وحديثا، وبيان الفرق الدلالي بين الأسلوبين.

الدّراســـات السابقة:

لا يدّعي الباحث أنه أول من كتب في دراسة الندبة، فقد سبقه غيره بدراسات تناولت الندبة تحت باب النداء كفرع من فروعه وغرض من أغراضه، دون الإشارة إلى دلالته الحقيقية، واختلافه عن دلالة النداء، ومن هذه الدراسات:

1- أسرار النداء النحوية، لجمال علي سيد، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد: 37.

2ـــ النداء تراكيبه وأغراضه في ضوء نظرية السياق، لمحمد كشاش، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز ماجد للثقافة والتراث- دبي، العدد: 67، اكتوبر 2009م

3- النداء في ديوان أبي الطيب المتنبي (ماجستير)، لسمية رحابي، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب واللغات- قسم الآداب واللغة العربية، 2015م.

وقد تناول الباحث هذا الموضوع وفق العناوين الآتية:

أولا- النُّدْبة مفهومها ودلالتها :

النُّدبة في اللغة: مصدر للفعل نَدَبَ، ويدور معناه في اللغة حول مجموعة من المعاني، منها:

الأثر: فقد ورد أن الندبة هي الأثر الذي يقع على الجلد نتيجة خدش أو غيره، وجمعه: نُدُبٌ وأنداب وندوب، ومنه ترى النادب كأنه يذكر أثر من مضى[1].

البكاء على الميت: يُقال: نُدبَ الميت، أي: بُكي عليه، والندب: أن تدعو النادبة الميت بحسن الثناء، وبأَحسن أَوصافه وأَفعاله في قولها: وافلاناه!، واسم ذلك الفعل: الندبة، وهو احتراق ولذع من الحزن[2]

ما يكلف بأمر ويؤمر بتبليغه: ومنه فإن المندوب بلغة مكة هو الرسول[3].

وهذه المعاني الثلاثة هي التي تتردد عند علماء اللغة في سبيل ضبطهم لمصطلح الندبة.

وفي اصطلاح النحويين، فهي نداء يُقصد منه إظهار التفجع على ميت أو ما في حكمه، أو إظهار التوجع من شيء يؤلم[4]. يقول ابن جني: " اعلم أن الندبة إنما وقعت في الكلام تفجُّعا على المندوب، وإعلاما من النادب أنه قد وقع في أمر عظيم وخطب جسيم"[5]، يؤكد هذا المعنى قول **العكبري** في تعريفه للندبة بأنها: "هي (فُعْلة) من (نَدَبْتَه) أي: حَثَثْته، فكأن النَّادب يحثه حزنه على النُّدبة أو يحث السامع على الحزن على المندوب"[6]. وقيل: هي ضرب من النداء قوامه التفجع والتحسر على المتوجع عليه، أو إظهار الألم من المتوجع منه[7]، ولذلك قيل: هي أكثر من يتكلم بها النساء؛ لضعفهن عن تحمل المصائب وقلة صبرهن[8]، يؤيد هذا المعنى قول الشاعر[9]:

خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ والأَسَى وتِلكَ الغَوَانِي لِلْبُكَا والمَآتِمِ.

فمجموع التعريفات الاصطلاحية تنبئ بوضوح مدي ارتباط دلالات هذا المصطلح بما وجد في المعاني اللغوية، ذلك أن الندبة في الأنموذج النحوي التراثي قائمة على أساس من التفجع والتوجع، وكلاهما داع للبكاء وباعث عليه، وليس يخفى ما ينجر عنهما من آثار نفسية دفينة تترك بصماتها بارزة في اللاشعور.

والمندوب عند النحويين مدعو على جهة كونه منادى، وبهذه المعاني الثلاثة تؤسس الدلالة اللغوية للدلالة المصطلحية.

ومفهوم الندبة بهذا الشكل قوامه إدراك القيمة الانفعالية لهذا التركيب، إلا في نقطة واحدة تكاد تعصف بوظيفته التعبيرية وهي ربطه بالنداء الذي يفيد التنبيه.

ثانيا- علامات الندبة :

للندبة علامات أصلية في بابها، وهي:

أ ـــ الأداة: يجب في المندوب أن يكون مسبوقاً بإحدى الأداتين: (وا) أو (يا)، ولا يجوز حذفها. يقول **المُبرد**: "وعلامته (يا) و(وا)، ولا يجوز أن تحذف منها العلامة؛ لأن الندبة لإظهار التفجع ومد الصوت"[10].

وأمَّا المندوب فهو المتفجع عليه، أو المتوجَّع منه، ويُقصد بالمتفجع عليه: من أصابته مُلِمَّة نحو: (يا محمداه، واعمراه). ويُقصد بالمتوجَّع منه، ما كان محل ألم، نحو: (وارأساه، واحرّ ◌َقلباه)، أو ما كان سبب ألم، كقول من وقع في خطأ فاحش: (وامصيبتاه)[11].

وتتعيَّن (وا) في الندبة؛ لأنها مختصة به، والأصل فيه، والأكثر استعمالا[12]، أما (يا) فيمكن استعمالها فيه إذا أُمن لبسها بالمنادى غير المندوب، وإلا تعينت (وا)[13]، كأن يندب ميتا اسمه زيد، وبحضرته من اسمه زيد، بقوله: يا زيد، فهنا لابد من استخدام (وا) دون (يا).

ب ـــ ألف الندبة والهاء : تلحق آخر الاسم المندوب ألفا زائدة وهاء للسكت؛ لأن المندوب قد لا يسمع النادب فيكون لزاما على الأخير أن يضيف الألف والهاء مدا للصوت؛ ليكون في ذلك دلالة على عمق الحزن على المفقود أو الهالك أو عظم المصيبة. يقول ابن فضَّال المُجاشعي (ت479هـ) في زيادة الألف: "أنهم أرادوا مدَّ الصوت؛ لأنه موضع تفجُّع وبكاء"[14]. والألف التي تلحق المندوب تفتح الحركة التي قبلها مكسورة كانت أو مضمومة بحكم أنها تابعة للألف[15].

أما هاء السَّكت فتظهر ساكنة عند الوقف، فإذا وُصلت حذفت إلا في الضرورة[16]. يقول **المُبرِّد**: "وأُلحِق الألف في الوقف هاء لخفاء الألف. فتُبَيِّنها بالهاء؛ كما تُبين بها الحركة، فإن وصل حذفها"[17].

وعلى ذلك يمكن القول إن الاسم المندوب يأتي على وجهين:

الأول : أن يأتي مجردا من ألف النّدبة والهاء، فيجرى لفظه مجرى المنادى في بنائه على الضم إن كان مفردا، ونصبه إن كان مضافا، نحو: (وا زيدُ)، و(يا علىُّ) بشرط عدم لبسه بالمنادى[18]. يقول ابن يعيش: "ويجوز أن لا تأتي بألف النداء وتجري لفظه

مجرى لفظ المنادى، نحو: يا زيدُ، ويا عمرو، ولا يلبس بالمنادى، إذ قرينة الحال تدل عليه"[19].

الثاني : أنْ يلحق بآخره ألف النُّدبة؛ لأن إلحاق ألف النُّدبة به أظهر تفجُّعا أو توجُّعا لما فيه من مد الصوت، نحو قول جرير[20]:

حُمِّلتَ أَمْراً عَظيماً فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ يَا عُمَرا.

والغالب أن يختم بألف في آخره إطالة للصوت، وتلحق بعض توابع المندوب، كعطف النسق في وازيد واعمراه، والتوكيد اللفظي في قول عمر-رضي الله عنه-: واعمراه واعمراه[21]. وفصل الرضي الاستراباذي القول في إلحاق الألف بالمندوب؛ فإن دلت قرينة الحال على النُّدبة كنت مخيرا في إلحاق ألف النُّدبة بالمندوب أو عدم إلحاقها، وإلا وجب الإلحاق معها، كما نقل الرضي - أيضا - رأي الكوفيين بالاستغناء بالفتحة عن ألف النُّدبة، نحو: يازيدَ، وازيدَ[22].

ثالثا- أشكال الندبة:

ذكر النحاة أن الندبة تكون على الأشكال الآتية:

1- يجوز عدم الإتيان بألف الندبة، فيجرى لفظها مجرى لفظ المنادى، نحو: يا زيدُ، ووازيدُ. قال سيبويه: "وإذا لم تلحق الألف قلت: وازيدُ إذا لم تضف، ووازيدِ إذا أضفت، وإن شئت قلت: وازيدي. والإلحاق وغير الإلحاق عربي فيما زعم الخليل-رحمه الله- ويونس"[23]، ووافقه في ذلك ابن السراج[24]، واشترط ابن يعيش كون الندبة لا تلتبس بالمنادى، إذ قرينة الحال تدل عليه[25].

وذكر الرضي الاستراباذي أن الأولى أن يقال: إن دلت قرينة حال على الندبة كنت مخيرا مع (يا) أيضا، وإلا وجب الإلحاق معها لئلا يلتبس بالنداء المحض، كما أشار إلى رأي الكوفيين الذي يجيز الاستغناء عن ألف الندبة بالفتحة في نحو: يا زيدَ، ووازيدَ[26].

ويبدو أن الخلاف في هذه المسألة مبني قواعد وضعها النحاة دون وجود شواهد تدعمها، غير أن رأي الكوفيين الذي أشار إليه الرضي هو الأقرب إلى واقع اللغة ومنطقها، فعندما يسمع السامع (يا زيدُ) يتبادر إلى ذهنه أن إنسانا اسمه زيد، وعليه الإجابة؛ لأنه يظن أنه المقصود بالنداء، ولكي لا يقع اللبس عمدوا إلى الفتح بدلا من الضم، لعدم فتح نداء المفرد العلم.

2- جواز ترك الهاء في آخره، نحو: يا زيدا، ومنه في الحديث: عن ابن عباس عن أبيه عن ميمونة "كان لها كلب، فأخذه داء يقال له الجُحام، فقالت: وارحمتا لمسمار"[27].

3- الأكثر استعمالا يكون بوجود الأداة والألف والهاء، نحو: واعمراه، بالوقف على الهاء، ليكون أبين لها وأبعد للصوت[28].

رابعا- ما يُندب وما لا يُنْدب:

أما ما يجوز ندبته فهو الاسم المفرد، نحو: (وامُعتصماه) في (معتصم)، ولذلك قال البصريون: "والمقصود بالندبة أن يظهر النادب عذره في تفجعه على المندوب ليساعد في تفجعه فيحصل التأسي بذلك فيخف ما به من المصيبة، وذلك إنما يحصل بندبة المعرفة لا بندبة النكرة"[29]، وكذلك يندب المضاف بشرط أنْ تلحق ألف الندبة والهاء آخر المضاف إليه، نحو: (وأبا الحسناه)، في (أبي الحسن)، (واغلام زيداهْ) في (غلام زيدٍ).

أما مالا يجوز ندبته فقد نص النحاة على عدم جواز ندبة النكرة[30]، نحو: رجل، فلا يقال: وارجلاه، خلافاً لأبي الفضل الرِّياشي من الكوفيين الذي جوز ندبتها، مستدلا بما جاء في الحديث (واجبلاهْ)، وأنكر ذلك الجمهور، وقالوا: إن صح فهو نادر[31].

كما نصّ النحويون على عدم جواز ندبة المبهم[32]، ولو كان معرفة، كـ(أيٌّ)، واسم الإشارة، والمضمر، وكذا الموصول المبهم، فلا يقال: وا من ذهباه، فإن علم جاز ندبته، نحو: وا من حفر بئر زمزماه. بشرط خلوه من (أل)، وكونه في الشهرة كالعلم[33]. وعلة ذلك: "أن القصد من الندبة الإعلام بعظمة المصاب؛ فلذلك لا يندب إلا المعرفة الخالية من الإبهام"[34].

أما ندبة المثنى والمقصور من غير إضافة، نحو: يحي، فيكون بحذف ألف الأصل لالتقاء الساكنين، فتقول: وامُثناه، ووايَحْياه[35].

ولا يجوز كذلك ندبة الصفة عند البصريين[36]، وإنما يجوز ندبة الموصوف، فتقول: (وازيداه الظريف)، وأجازه الكوفيون[37]، فيجوز عندهم أن تقول: (وا زيدُ الظريفاه)، وعده بعضهم من قبيل الشاذ[38].

وقد أجاز النحويون بعض الجوازات الأخرى في باب الندبة، كحذف ما قبل ألف الندبة إذا جاءت ألفا، نحو: وا موساه، أو كان تنوينا نحو: وا صاحب خالداه، وكل ذلك لا طائل من ذكره. يقول عبد السلام هارون واصفا هذه الاحتمالات في الندبة: "وقد اتخذ النحويون من هذا الباب مجالا للتحليل والتصور، فافترضوا أساليب وصورا أصدروا فيها فتاوى دالة على سعة الخيال..." [39].

وإذا وقف على المندوب لحقته بعد الألف هاء السكت، وذلك لخفاء الألف، فتقول: وا زيداه، ويجوز الوقف على الألف وحدها، نحو: وا زيدا، ولا تثبت الهاء في الوصل إلا في الضرورة[40]، كقول الشاعر[41]:

ألا يا عمرو عَمْراهُ وعَمْرُو بن الزّبيراهُ.

خامسا- علاقة الندبة بالنداء:

يذهب بعض النحويين إلى أن الندبة من النداء، غير أنها على سبيل التفجع. يقول سيبويه: "اعلم أن المندوب مدعو، ولكنه متفجع عليه"[42]، ووافقه في ذلك ابن يعيش[43]، وغيره من النحاة.

ولعل من أوجه التشابه التي جعلت بعض النحاة يربط بين الندبة والنداء المشابهة اللفظية وذلك في جواز استخدام الأداة (يا) في الندبة إذا أمن اللبس، ما جعلهم يربطونها بالنداء، وكذلك الحركة الإعرابية، فالمندوب يأخذ الحركة الإعرابية نفسها التي يأخذها المنادى، فله الحكم ذاته، فإن أفرد فله الضم، نحو: وا زيدُ، وينصب إذا كان مضافا، نحو: وا أمير المؤمنين.

فالندبة لديهم نوع من النداء في صورته الشكلية، غير أن هذا التشابه لا يُعد مبررا للربط بين دلالة هذين الأسلوبين؛ لأنَّ لكل أسلوب دلالته الخاصة به، وتتضح هذه المفارقة جليا من خلال الوقوف على مفهومهما، وغرض كل منهما. إذ إن مفهوم **النِّداء** هو: "إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المُعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ. وهو في الصناعة: تصويتك ممن تريد إقباله عليك لتخاطبه. والمأمور بالنداء ينادى ليخاطبه الآمر فصار كأنه هو المنادى"[44].

والغرض من حروف النداء "امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادى متراخيا عن المنادي، أو معرضا عنه لا يجيب إلا بعد إجهاد، أو نائما قد استثقل في نومه، استعملوا فيه جميع حروف النِّداء ما خلا الهمزة"[45]، حيث يظهر معنى طلب الانتباه في جملة النِّداء في حرف النِّداء مذكورا أو محذوفا، وفي الأمر الطلبي الذي يأتي بعد حرف النداء، نحو قولك: (يا شاهد قُلِ الصدق)، وهذه العناصر اللغوية في النداء لا تكون في أسلوب الندبة ولا تحمل معناه.

وقد تنبه بعض النحاة إلى وجه الاختلاف في دلالة الأسلوبين، منهم الرضي الاستراباذي الذي صرح بأن المندوب ليس منادى، وعلل ذلك بأن المندوب متفجع عليه وليس المطلوب إقباله[46]، ووافقه في ذلك خالد الأزهري بقوله: "المندوب ليس نداء، ألا ترى أنك لا تريد منه أن يجيبك ويقبل عليك"[47].

ويبدو من خلال عرض آراء بعض العلماء أنه لا علاقة للندبة بأسلوب النداء؛ لأن الندبة هي أسلوب تأثيري انفعالي يعبر بها المتكلِّم عن مشاعر الحزن والألم التي تصيبه

عند فقد عزيز، أو يُعبِّر بها عن سبب ذلك الحزن. وقد أشار **سيبويه** إلى ما تحمله الندبة من دلالـة على الانفعـال والتـأثر والمبـالغـة، بقولـه: "والنـدبـة يلزمهـا (يـا) و(وا)؛ لأنهم يختلطون ويدعون ما قد فات وبعُد عنهم، ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنَّمون فيها، فمن ثم ألزموها المدَّ، وألحقوا آخر الاسم المد، مبالغة في التَّرنُّم"[48].

وأما اسـتعمال(يا) الخاصـة بالنداء في الندبة فلا ضـير في ذلك؛ لاسـتعمالها في أسـاليب أخرى، كالتمني مع ليت، والمدح مع حبذا، فتلونت بلون ما اسـتعملت فيه، وأن كثيرا من الأدوات خرجت عن الأصـــل إلى اســـتعمالات أخرى، فدلت على معاني جديدة، منها: (هل) فهي موضوعة للاستفهام، ولكنها استعملت في التمني، وغير ذلك كثير.

فتنوع استعمالها يستطيع المرء أن يدركه من خلال وقوفه على السياق وقرئن الأحوال، إضافة إلى وجود ألف الندبة وهاء السكت.

ولذلك فمن التعسـف حمل هذا التركيب على محمل التركيب الندائي لمجرد الشـراكة في البنية السـطحية الظاهرة، فهذا نهج يصـدر عند النظر إلى الأشـكال لا إلى الوظائف التي هي أولى بالنظر والتتبع.

فمن المعلوم أن المعنى الوظيفي الواحد قد يصـــاغ بمبان متعددة، منها أن المبنى الواحد قد تتعدد وظيفته، ولا يترجح المقصـــود منه إلا بتضـــافر القرائن التي تحدد دلالته على معنى معين دون آخر.

وقد أدرك بعض النحاة هذا التعدد، غير أنهم حملوه على مبدأ الأصـالة والفرعية، فجعلوا للتركيب الواحد معنى أصـــليا وآخر فرعيا، مـا جعلهم يصـــدرون أحكاما لا تخلو من المزالق وعرضـة للاعتراضـات؛ لأنها تبهم الغرض الذي من أجله أنشـئ هذا التركيب، فيضطرهم إلى تسوية الأمر وفق الصناعة النحوية الإعرابية القائمة على هذا الغرض.

فـالندبة في حقيقتها تؤســس لتركيب انفعالي مســتقل مشــحون بفيض من المشــاعر والانفعالات لا علاقة لـه بـالتركيب النـدائي لا من قريـب ولا من بعيد ســوى الشــكل الظاهري الذي لا يمكن أن يكون معيارا لتصـــنيف الأســـاليب، فالأســـلم أن تكون البنية العميقة هي الأساس للتفريق بين الأساليب المتشابه ، فالبنية العمية-كما يقال- هي مسرح المعاني.

ففي أســـلوب النـدبـة لا يكون المرء أمـام أداة نـداء ومنـادى؛ بـل يكون أمـام أداة نـدبـة ومندوب، وشـــتان بين الأمرين من الوجهة الوظيفية، فالقيمة الفارقة بينهما هي تلك التي تفصل بين اللغة الفاعلة واللغة الانفعالية، فالنداء مسرحه الأولى والندبة مسرحها الثانية.

وعلى ذلك فقد شـــعر بعض النحويين بعدم وجـاهـة نداء المندوب؛ لعدم طلب إقباله، ما جعلهم يتأولونه على عدة وجوه، منها: إن النادب لا ينادي منتظرا جوابا؛ بل ليشـــعر من

حوله بمصيبته وتفجعه، وأنه وقع في أمر عظيم وخطب جسيم[49]. وقيل: إنه نداء مجازا لا حقيقة، فقولك: يا محمداه، كأنك تقول له: أقبل فإني مشـــتاق إليك، وقولك: واحزناه، كأنك تقول له: اخرج حتى يراك الناس فيعذروك ويعذرنني فيك[50]، فهذه تأويلات تربك هذا الأسـلوب وتبعده عن دلالته السـليمة في نقله لمشـاعر النادب وانفعالاته تجاه موقف حزن وألم يعانيه.

خامسا- دور التنغيم في الندبة:

لا يخفى دور التنغيم والنبر في التفريق بين المعاني المختلفة، إذ بهما نستطيع التفريق بين الجمل الخبرية والإنشـائية، كما يسـاعدان المتكلِم على الكشـف عما يدور في خلجات النفس من انفعالات ومشاعر وأحاسيس.

فالتنغيم هو: "رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة، أو الحركة الصوتية للكلام صعودا وهبوطا، يستعمل كمميز دلالي"[51].

أما النبر فهو: "وضـوح نسـبي لصـوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصـوات والمقاطع في الكلام"[52]، وبأنه: "ازدياد وضـوح جزء من أجزاء الكلمة في السـمع عن بقية ما حولها من أجزائها"[53]، فهو يرتبط بظاهرة علو الصـوت وانخفاضــه، وذلك نتيجة زيادة كمية الهواء المندفعة من الرئتين، والذي يؤدي بدوره إلى اتسـاع مدى ذبذبة الأوتار الصـوتية؛ فيعلو الصــوت لذلك، وبســبب التوتر نتيجة التماس الذي يحدث بين أعضــاء النطق في مخرج الصوت[54].

ويرى تمام حسـان بأنَّ النبر يُعد من الظواهر السِّياقية، ومن قرائن التعليق اللفظية في السِّــياق، وهو الإطار الصــوتي الذي تنطق به الجملة في ســياقاتها المختلفة، فهو يقوم بوظيفـة الترقيم في الكتـابـة، غير أنَّ التنغيم أوضـــح من الترقيم في الـدلالـة على المعنى الوظيفي للجملة[55]. ومن ثَم فهو الوســيلة التي يمكننا به التمييز بين معانٍ تشــترك في مبنى واحد.

فقد يكون مســتوى النغمـة وأداء الصــوت قرينـة تميز النداء عن الندبة ليلائم الإحسـاس والشـعور الذي يريد أن يبوح به المتكلم، مما جعل خليل عمايرة يذهب إلى أنّ التنغيم يُعد عنصـرا تحويليا في الجملة، فيدخل على الجملة التوليدية فيحولها من باب إلى باب، ومن معنى إلى معنى. فالجملة: كتبَ التلميذُ الدرسَ، بالنغمة المســتوية جملة فعلية تفيد الإخبار، وبالنغمة الصـاعدة تتحول إلى الاستفهام، وبنغمة صـاعدة جدا مع نبر إحدى كلمات الجملة تتحول إلى جملة انفعالية تأثيرية؛ لتفيد الدهشة والاعجاب[56].

وعلى ذلك فأسلوب الندبة الهدف منه التفريج عن النفس بالتعبير عن مشاعر الألم والحزن المكبوتة نتيجة الظروف التي فرضتها عليه المواقف الواقع فيها. فجملة (وا مصيبتاه) مثلا تتركب من :

أداة الندبة + المندوب + ألف الندبة + هاء السكت.

ويتبع التعبير بالندبة نغمة صوتية هابطة ما تلبث أن ترتفع تبعا لنوع شدة الألم وقوة الحزن وعمق المصيبة التي يعبر عنها النادب[57].

ودلالة الندبة هي التي عبَّر عنها تمام حسان بأن أسلوب الندبة من الأساليب الإنشائية التي تفيد الإفصاح، وتلعب الأداة دورا مهما في الربط بين الأبواب المفردة داخل الجملة، فأداة الندبة (وا) تعد عنصرا من عناصر التعليق التي تقوم بوظيفة ربط العلاقات بين أجزاء الجملة المختلفة[58].

ولعل التَّرنُم الذي أشار إليه سيبويه ومن جاء بعده كابن يعيش[59] هو الذي أطلق عليه المحدثون مصطلح (التنغيم). فالصوت الطويل(المدّ) في الاسم المندوب يمثل النغمة الصاعدة التي يُعرف بها درجة الحزن والألم والقلق الذي يلحق النادب إثر المصيبة التي لحقت بالمندوب، فيبث به انفعاله وإحساسه تجاهه، كما يدرك بواسطتها أنَ المتكلم في أقصى درجات الحزن والتأثُّر. يقول ريمون طحان في وصفه لدور التنغيم في أسلوب الندبة: "تحمل الندبة بفضل التنغيم شحنة دلالية، وشحنة انفعالية"[60].

وخلاصة القول: إن أسلوب الندبة من الأساليب الانفعالية التأثيرية التي يُعبر بها عن مشاعر النادب وألمه وحزنه تجاه الأمر المندوب للتنفيس عن نفسه، والإفصاح عن مشاعره تجاه الموقف النادب من أجله، ويرتبط ذلك بسياق معين، وتنغيم صوتي يُناسب مشاعره في التعبير عن مراده.

سادسا- النتائج:

يمكننا من خلال عرض موضوع أسلوب الندبة وعلاقته بالنداء يمكن تدوين بعض النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، وهي على النحو الآتي:

ـ أسلوب الندبة من أساليب العربية ذات الصيغ الثابتة، والتعابير الجاهزة التي تقال في لحظات نفسية معينة.

ـــــ دلالة أسلوب الندبة تقوم على التعبير عن المعاني النَّفسية والانفعالية التي يشعر بها النادب من ألم وحزن وضيق نفسي، فيطلق صرخة ندبة للتنفيس على نفسه من ضيق وحرج، والتنبيه على أنه في موقف عظيم لا يحسد عليه، وهذا الأمر يجعل أسلوب الندبة أقرب إلى الإنشاء منه إلى الإخبار.

ـــــ أسلوب الندبة يختلف في دلالته عن أسلوب النداء، وما قول بعض النحويين بإلحاقها بباب النداء إلا من قبيل المشـــابهة اللفظية والشـــكلية ليس غير، فكل أســـلوب له قيمته الدلالية الخاصة به، وإنْ تشابها شكلا.

ـ يعد السياق والقرائن اللفظية والمعنوية عنصرا رئيسا للتمييز بين الندبة والنداء، إذ كل منهما يرتبط بسياق معين لا يرتبط به الآخر.

ـ يعد التنغيم من الوسائل التي يمكننا بها التمييز بين القيم الدلالية للأساليب المتشابهة من الناحية الشكلية، مما يعد علامة فارقة بين أسلوبي الندبة والنداء.

الهوامـــــــــــش:

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ: مادة (ندب).
(2) ينظر: تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، دار الفكر- بيروت، ط1، 1414ه: مادة (ندب).
(3) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المؤلفون: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة: مادة (ندب).
(4) ينظر: أسرار العربيَّة، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل- بيروت، ط1، 1995م: ص220.
(5) اللُّمع في العربية، لابن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية- الكويت: ص120.
(6) ينظر: اللباب علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر- دمشق، ط1، 1995م:342/1.
(7) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1979م: ص146.
(8) ينظر: شرح الفصل، لابن يعيش، عنيت بطبعه ونشره: إدارة الطباعة المنيرية: 13/2.
(9) ينسب لأبي تمام، ولم يوجد في ديوانه، ينظر: توجيه اللمع، ابن الخباز، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر- مصر، ط2، 2007م: ص344.
(10) المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت: 246/2.
(11) ينظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط3، 1988م: 220/2، شرح التصريح، لخالد الأزهري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م: 246/2.
(12) ينظر: شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: صاحب أبو جناح، عالم الكتب ببيروت، ط:1، 1999م: 127/2، ارتشاف الضرب، لابن حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1998م: 2215/5.
(13) ينظر: همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب بالقاهرة، 2001م: 66/3.
(14) شرح عيون الإعراب، لابن فضال المجاشعي، تحقيق: حنا جميل حداد، مكتبة المنار بالأردن، ط1، 1985م: ص298.
(15) ينظر: الكتاب: 220/2.
(16) ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث: 315/3.

(17) المقتضب: 268/4.
(18) ينظر: الكتاب: 221/2، الأصول في النَّحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفضلي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1988م: 255/1.
(19) شرح المفصل: 14/2.
(20) ينظر: ديوانه، دار صادر، ودار بيروت، 1964م: 235.
(21) ينظر: التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م: 182/2، 183.
(22) ينظر: شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي،ط2، 1996م: 413/1.
(23) الكتاب: 221/2.
(24) ينظر: الأصول في النحو: 351/1.
(25) ينظر: شرح المفصل: 14/2.
(26) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 156/1، 413.
(27) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، ط2 :171/1.
(28) ينظر: معاني القرآن، لسعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، دار الفكر- دمشق، 1980م: 579/2.
(29) الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية ببيروت، 1997م: 363/1.
(30) ينظر: الكتاب: 227/2، المقتضب: 268/4، شرح جمل الزجاجي (ابن عصفور): 128/2,
(31) ينظر: شرح التصريح:47/2، المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الفكر بدمشق، 1980م: 535/2، .
(32) ينظر: الكتاب: 227/2، المقتضب: 268/4، شرح جمل الزجاجي(ابن عصفور): 128/2.
(33) ينظر: المساعد: 535/2، همع الهوامع: 66/3، 67.
(34) شرح التصريح على التوضيح: 247/2.
(35) ينظر: التبصرة والتذكرة، للصيمري، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، ط1، 1980م: 364/1.
(36) ينظر: الكتاب: 226/2، المقتضب: 275/4، شرح الرضي على الكافية: 422/1.
(37) ينظر: الكتاب: 226/2، شرح الرضي على الكافية: 422/1.
(38) ينظر: أسرار العربيَّة: 245.
(39) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 147.
(40) ينظر: شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بدمشق ط2، 1985م: 285/3.
(41) لم يعرف قائله، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1996م: 290/8.
(42) الكتاب: 220/2.
(43) ينظر: شرح المفصل: 15/2.
(44) الكليات لأبي البقاء الكفوي (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) قابله على نسخة خطية، ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المضري، ط:2، مؤسسة الرسالة بيروت، 1998م: ص906.
(45) شرح المفصل: 15/2.

(46) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 131/1.
(47) شرح التصريح على التوضيح: 182/2.
(48) الكتاب: 231/2.
(49) ينظر: اللمع في العربية: 181.
(50) ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ضبط وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر ببيروت، ط1، 2003م: 664/2.
(51) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، القاهرة، 1412هـ: 106.
(52) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب، 1979م: ص194.
(53) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدر البيضاء- المغرب، 1979م: ص170.
(54) من وظائف الصَّوت اللغوي(محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، لأحمد كشك، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، 2007م: ص53.
(55) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 226.
(56) ينظر: في نحو اللغة وتراكبها، خليل عمايرة، عالم المعرفة- جدة، ط1، 1984م: ص174.
(57) ينظر: في نحو اللغة وتراكبها: ص173.
(58) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ص124، 125.
(59) ينظر: شرح المفصل: 13/2.
(60) الألسنية العربيَّة لريمون طحان، المكتبة الجامعية-دار الكتاب اللبناني، ط:2، عدد:1981،2م: ص85.